الاتصالات الأوربية وتأثيراتها على المنطقة العربية

دراسة للأهداف والنتائج من خلال نماذج من الوثائق العثمانية

د. أحمد محمد سالم
جامعة الأزهر - القاهرة

لقد كانت الاتصالات الأوربية بالمنطقة العربية عموماً والجزيرة العربية بوجه خاص متباينة الأهداف بين الدول الأوربية التي سعت للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات الاقتصادية والسياسية والجغرافية والدينية والاًجتماعية عن المنطقة العربية.

ومما لا شك فيه أن احتواء الأراضي العربية على الكثير من الثروات الطبيعية، وتعدد الحضارات فيها، ووجود الأماكن المقدسة بها أدى كل ذلك إلى اهتمام أوربا بالمنطقة والتعامل معها على هذا الأساس.

ومن خلال هذه الدراسة سوف يتبين مدى حجم تلك الاتصالات الأوربية وتوغلها داخل الأراضي العربية، وسوف تتضح أيضاً المحاولات الأوربية غير المباشرة للتدخل في الشؤون العربية من خلال السياحة والتجول في المنطقة، وكذلك المحاولات الأوربية المباشرة المتمثلة في تدخل السفن الأوربية الحربية وفرضها السيطرة بالقوة على السواحل العربية، وذلك من خلال الوثائق العثمانية.

والحقيقة أن الدولة العثمانية كان لها الدور الأكبر وبشكل مباشر في مساعدة الدول الأوربية للتفكير في التدخل والتجول في الأراضي العربية بإذن وتصريح منها، وقد استطاعت هذه الدول الحصول على

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢٥هـ، السنة الثلاثون
الدارة

المعلومات المطلوبة، وكان لهذه المعلومات العامل الأساس في سقوط العديد من الأراضي العربية تحت سيطرتها.

أهداف الاتصالات الأوروبية بالمنطقة العربية

١ - حق الممارسة التجارية:

خلال القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري)، حصلت كل من فرنسا عام ٩٦٤هـ (١٥٣٦م)، وإنجلترا عام ٩٩٠هـ (١٥٨٠م)، وهما الدولتان العظميان في العصور التالية، على حق الممارسة التجارية في الأراضي العثمانية تحت أعلامهما الخاصة، وشاركتهما في ذلك هولندا عام ١٠٢١هـ (١٦١٢م).

وفي عام ٩٧٨هـ (١٥٤٧م) منحت الدولة العثمانية التجار النمساويين - الذين كانوا يمارسون التجارة تحت حماية البندقية منذ زمن - حق التنقل في أمن وأمان داخل أراضيها، أما التجار الروس الذين ظهروا داخل الأراضي العثمانية منذ القرن الخامس عشر الميلادي، فقد اعترفت لهم الدولة العثمانية بامتياز ممارسة التجارة في الأراضي والمياه الإقليمية العثمانية، ما عدا البحر الأسود، وذلك بمقتضى معاهدة (بلغراد) عام ١١٥٢هـ (١٧٣٩م).

وفي القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) حصلت الدول الأوروبية الأخرى على مثل هذه المعاهدات التجارية واحدة تلو الأخرى[١].

وكان اهتمام روسيا المتزايد بمنطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي مرتبطاً كذلك بمصالحها التجارية والاقتصادية[٢].

---

(1) Osmanli Devleti, Tarih Ve Medeniyet, IRCICA nes. Istanbul 1998, C. I, S. 686 - 687.

(٢) أرشيف السياسة الخارجية الروسية، الرصيد التركي، الورقة ٥٠٢، عام ١٨٩١م، الملف ٢٣١٢، الورقة ٤ - ١٣.

وكانت الامتيازات التي منحها السلطان عبدالحميد الثاني للشركات الأجنبية لعمل خط سكك حديد الحجاز بطول (٢٠٠٠ كم) فرصة للبحث عن البترول في المنطقة العربية، وكانت الفترة من ١٣٠٥ -١٣٣٠هـ (١٨٨٨-١٩١٢م) فترة النزاع (الروسي - الفرنسي - الإنجليزي - الألماني) وفرصة للبحث عن البترول في تلك المناطق العربية(٣).

ومن بين هذه الامتيازات التي حصلت عليها إحدى الشركات الألمانية في ذي الحجة ١٣١٩هـ (مارس ١٩٠٢م) مقابل إنشاء خط السكك الحديدية (قونيا - بغداد) أن الشركة الألمانية استطاعت في عام ١٣٢٠-١٣٢١هـ (١٩٠٣م) أن تعقد مع الدولة العثمانية عقداً اعترفت فيه بحقوق عدة، منها حق إصدار سندات سكك حديد بغداد العثمانية بمبلغ (٥٤) مليون فرنك، وحق الانتفاع بالأراضي التي يمر فيها الخط الحديدي، واستخدام المحاجر مجاناً، واستخراج الخشب اللازم لها من غابات الدولة العثمانية بلا مقابل، وحق القيام بالحفريات في الأراضي التي يمر منها هذا الخط الحديدي(٤).

ولا شك أن دخول ألمانيا الميدان الاستعماري، وحصولها على امتياز من الدولة العثمانية بمد خط حديد (برلين - بغداد) قد أثار حفيظة الدول الأوربية عامة، وبريطانيا خاصة، وذلك حرصاً منها على مصالحها في المنطقة العربية، لذا عملت على إحباط هذا المشروع، ونجحت في ذلك(٥).

(3) General Nurettin Tursan: Orta Dogu Ve Petrol, Belgelerle Turk Tarihi Dergisi, Dun - Bugun - Yarin. C. X, sayi 56, Mayis 1972, S. 39-45.

(4) E. M. Earle: Bagdad Demiryolu Savasi (Trc. Kasim Yargici), Istanbul 1972, S.67-75.

(5) Basbakanlik Osmanli Arsivi (BOA) Tasnifi: DH. KMS. No: 1 /14. Tarihli, 1 Ra 1332 H.

٢- الرحلات العلمية والكشفية في المنطقة العربية:

لقد كانت هناك عوامل عدة ساعدت الأوروبيين على تحقيق أهدافهم، وهو جمع القدر الأكبر من المعلومات عن المنطقة العربية، على الرغم من الصعوبات التي واجهتهم. ومن هذه العوامل - على سبيل المثال - الحصول على التوصيات من الحكام والولاة العثمانيين إلى أمراء المناطق العربية وشيوخها التي قام هؤلاء الأوربيون بالسياحة فيها، للسماح لهم بحرية التجول، وتزويدهم بمرشدين محليين على درجة عالية من المعرفة الجغرافية بهذه المناطق العربية. ولقد كانت دراسة أهالي المنطقة العربية والقبائل التي تعيش فيها من بين الأهداف التي سعى إليها الرحالة الغربيون، حيث قام هؤلاء الرحالة بتوفير المعلومات اللازمة لهم عن القبائل المختلفة وقدراتها العسكرية والاقتصادية، وكذلك نجحوا في تقصي العلاقات بين الأفراد في القبيلة الواحدة أو بين القبائل المختلفة. وسيتبين من خلال الوثائق العثمانية التي اخترنا بعضها ذلك القدر الهائل من الرحلات الكشفية والعلمية والجغرافية المتعلقة بطبيعة المنطقة العربية، والتي شكلت دليلاً واضحاً على مدى الخطأ الفادح الذي وقعت فيه الدولة العثمانية - دون قصد بالطبع - دون الانتباه إلى المخاطر التي ستنجم عن هذه الاتصالات، والتي لم تسلم منها الدولة العثمانية نفسها، حيث كانت عاملاً من عوامل سقوطها، وسقوط العديد من المناطق العربية في أيدي الدول الأوربية، وخصوصاً إنجلترا وفرنسا. وسوف نعرض نماذج من هذه الاتصالات الأوربية داخل المنطقة العربية، وهي مرتبة تاريخياً كما يأتي:

هذه الاتصالات كانت عاملاً من عوامل سقوط الدولة العثمانية

١- التماس مقدم من أحد الأطباء الإنجليز، ويُدعى تشارلز بيري (Charles Perry) إلى السلطات العثمانية بتاريخ جمادى الأولى عام ١١٥١هـ (سبتمبر ١٧٣٨م)، يطلب فيه القيام برحلات

سياحية في مناطق (يافا - القدس - الشام - القاهرة)، ويطلب منحه تصريحاً للمرور في هذه المناطق، وحمايته فيها(٦).

٢- التماس مقدم من السفير الروسي في إسطنبول إلى السلطات العثمانية بتاريخ ١٢ رجب ١٢١٧هـ (٧ نوفمبر ١٨٠٢م)، يطلب فيه التصريح بالمرور وحماية أحد بكوات روسيا، ويُدعى ج. شافيوسكي (J. Shaveskoy) وبصحبته ثلاثة من المساعدين له للقيام برحلات إلى مناطق (الشام - طرابلس الشام - مصر - الجزيرة العربية) والمناطق المحيطة بها، والمطلوب تقديم كل عون ومساعدة له خلال رحلته(٧).

٣- التماس مُقدم من السفير الإنجليزي في إدرنه، ويُدعى ألكسندر ستراتون (Alexander Stratton) بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢١٧هـ (١٦ يناير ١٨٠٣م)، يطلب فيه الإذن لمرور أحد بكوات إنجلترا، ويُدعى ميلر بلنتر (Miler Blunter) للقيام برحلات استكشافية مع ثلاثة مساعدين له إلى مناطق (مصر - البحر المتوسط - مورا - أثينا - أزمير - آيدين)(٨).

٤- رسالة من القنصل الإنجليزي العام روبرت (Robert) بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة ١٢٢٥هـ (١٢ يوليو١٨١٠م)، تتعلق بطلب تصريح مرور وتسهيل مهمة أحد رعاياها، وهو أحد بكواتها، ويُدعى وليم ماير (William Mayer) في القيام برحلة داخل بعض الولايات العربية دون اعتراض من أحد، وسوف تكون الرحلة من إسطنبول إلى مناطق (مصر - الشام - جزر البحر المتوسط - أزمير -

(6) BOA. Cavdet Tasnifi, Hariciye, No: 9111, Tarihli, Ca. 1151 H.

(أغلب الوثائق الواردة في البحث صورها محفوظة بمركز الوثائق بدارة الملك عبدالعزيز).

(٧) المصدر السابق. وثيقة رقم ٨٧٤٨ بتاريخ ١٢ رجب ١٢١٧هـ (١٨٠٢/١١/٧م).

(٨) المصدر السابق. وثيقة رقم ٥٢٦٧ بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢١٧هـ (١٨٠٣/١/١٦م).

مورا - الأرناؤوط - البوسنة)، ويشمل هذا التصريح خطاب أمان له من إدارات هذه الولايات للحفاظ عليه(٩).

٥- التماس مُقدم من سفير إنجلترا السيد فيريس (Mr. Ferris) بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٢٣٥هـ (١٤ سبتمبر ١٨٢٠م)، يطلب فيه منح أحد بكوات إنجلترا - ويُدعى ألكسندر ديسكونتنت (Alexander Discontent) وبصحبته ثلاثة أشخاص آخرين مساعدين له - تصريح مرور للمذكورين للقيام برحلات استكشافية داخل أراضي الدولة العثمانية في مناطق (مصر - فلسطين - طرابلس الشام - قبرص - رودس) وطالبًا تسهيل مهمته والعمل على حمايته خلال رحلته المذكورة(١٠).

٦- التماس من السفير الإنجليزي سترنج فورد (Strange Ford) بتاريخ ٢٩ المحرم ١٢٣٩هـ (٤ أكتوبر ١٨٢٣م)، حول طلب منح تصريح مرور ومساعدة طريق (مصروفات طريق) لأحد بكوات إنجلترا، ويُدعى السيد جون ستوفر تبسيلي (Mr. Jon Stover Tipsily) الذي سيقوم برحلات استكشافية ناحية مناطق (الأناضول - الروملي - سوريا - مصر)(١١).

٧- التماس مُقدم من السفير الإنجليزي بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٢٤٠هـ (٢٣ يونية ١٨٢٥م)، يطلب فيه إعطاء تصريح مرور في الأراضي العثمانية لأحد بكواتها، ويُدعى السيد لاتنت (Mr. Latent)، والذي سيذهب في رحلة استكشافية نواحي (الإسكندرية بمصر والمناطق العربية المجاورة لها)(١٢).

(٩) المصدر السابق. وثيقة رقم ٢٤٨٤ بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة ١٢٢٥هـ (١٨١٠/٧/١٢م).

(١٠) المصدر السابق. وثيقة رقم ٧٢٥٨ بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٢٣٥هـ (١٨٢٠/٩/١٤م).

(١١) المصدر السابق. وثيقة رقم ٥١٧٣ بتاريخ ٢٩ المحرم ١٢٣٩هـ (١٨٢٣/١٠/٤م).

(١٢) المصدر السابق. وثيقة رقم ٥٧٥٦ بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٢٤٠هـ (١٨٢٥/٦/٢٣م).

٨- التماس من السفير الفرنسي، بتاريخ ربيع الأول ١٢٤٢هـ (أكتوبر ١٨٢٦م)، يطلب فيه منح إذن مرور وتصريح ومصروفات طريق، وعدم ممانعة للجنرال فيرينا (General Ferine) خلال رحلته الاستكشافية التي سيقوم بها في منطقتي (مصر - الشام)[١٣].

٩- منح ترخيص وتسهيل مأمورية الباحث الزراعي النمساوي مانويل فيريدريهستال (Manuel Feridrihstal) بتاريخ ١٩ ذي القعدة ١٢٥١هـ (٦ مارس ١٨٣٦م)، وهو من الباحثين في علم النبات، حيث ستكون رحلته إلى مناطق (الأناضول - جزر البحر المتوسط - سوريا - مصر)، والمطلوب تقديم كل المساعدات له خلال قيامه بالأبحاث العلمية[١٤].

١٠- طلب التماس من السفير الفرنسي الأميرال بارون (Amiral Baron) بتاريخ ٦ جمادى الآخرة ١٢٥٢هـ (١٦ سبتمبر ١٨٣٦م)، بمنح تصريح مرور لأحد بكوات فرنسا، ويُدعى ميرسي ديوسنتو (Mersey Duecento) والذي سيقوم برحلات من (بورصة) إلى (مصر) مروراً بمناطق وولايات عربية عدة مع الحفاظ على حياته ومساعدته في الأماكن المذكورة سابقًا[١٥].

١١- التماس مُقدم بتاريخ ٤ رجب ١٢٦٠هـ (١٩ يولية ١٨٤٤م)، لتسهيل مأمورية أحد الرهبان، ويُدعى آرتين راليب (Artin Ralip) في التجول ناحية ولاية (حلب)، ومساعدته خلال رحلته[١٦].

١٢- التماس مُقدم بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣١٥هـ (١٥ مايو ١٨٩٨م) من سفيري النمسا والمجر، يطلبان فيه تصريح مرور، وعدم ممانعة للبروفيسور المسيو موزل (Mousil) الذي سيتوجه برحلة

(١٣) المصدر السابق. وثيقة رقم ٥٢٧١ بتاريخ ربيع الأول ١٢٤٢هـ (أكتوبر ١٨٢٦م).

(١٤) المصدر السابق. وثيقة رقم ٥٠٢٦ بتاريخ ١٩ ذي القعدة ١٢٥١هـ (١٨٣٦/٣/٦م).

(١٥) المصدر السابق. وثيقة رقم ٥٠٢٣ بتاريخ ٦ جمادى الآخرة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦/٩/١٦م).

(16) BOA. (HR. MKT) Tasnifi, No: 5/6. Tarihli, 4 B. 1260 H.

استكشافية في مناطق (القدس الشريف - الشام - العقبة - نجد) مع طلب تسهيل مهمته ومساعدته. وبناءً على ذلك قامت الإدارة العثمانية بإرسال تلغراف إلى ولاية سوريا بتاريخ ٣ المحرم ١٣١٦هـ (٢٣ مايو ١٨٩٨م) بعدم ممانعة البروفيسور موزل عند قيامه بالأبحاث الفنية في المنطقة العربية(١٧).

١٣- برقية مرسلة بتاريخ ١٧ شعبان ١٣٢٧هـ (٢ سبتمبر ١٩٠٩م)، إلى ولايتي (البصرة وبغداد) لتسهيل مهمة الدكتور النمساوي فرانس نابل (France Nubile) أثناء توجهه لعمل بعض الأبحاث الفنية في بعض المناطق العربية(١٨).

١٤- برقية مرسلة إلى ولايتي (بغداد والبصرة) بتاريخ ١٢ المحرم ١٣٢٨هـ (٢٢ يناير ١٩١٠م)، لتسهيل مهمة السيد وليم سالي (William Sally) من معهد (كارنجي) العلمي، حيث سيقوم برحلة بحث فنية في مناطق (بيروت - سوريا - القدس)(١٩).

١٥- برقية مرسلة بتاريخ ١٩ المحرم ١٣٢٨هـ (٢٩ يناير ١٩١٠م)، إلى ولايتي (البصرة وبغداد)، مفادها قيام ثلاثة من النمساويين بعمل أبحاث علمية في مناطق (دجلة - الفرات - سوريا - فلسطين)، والمطلوب تسهيل مهمتهم(٢٠).

١٦- إشعار بتاريخ ١٩ صفر ١٣٢٨هـ (١٤ فبراير ١٩١١م) بشأن المحاضرة التي ألقاها البروفيسور موزل (Alois Musil) الذي عاد من رحلته إلى شمال الجزيرة العربية، والتي تتعلق بأحوال المنطقة(٢١).

---

(17) BOA. (BEO. Tasnifi) No: 84250, Tarihli, 3 M. 1316 H.

(18) BOA. (DH. MUI. Tasnifi), No: 56/2. Tarihli, 17 S. 1327 H.

(١٩) المصدر السابق. وثيقة رقم ٥٧/٢٧ بتاريخ ١٢ المحرم ١٣٢٨هـ (١٩١٠/١/٢٢م).

(٢٠) المصدر السابق. وثيقة رقم ٥٧/٥٣ بتاريخ ١٩ المحرم ١٣٢٨هـ (١٩١٠/١/٢٩م).

(٢١) المصدر السابق. وثيقة رقم ٨٥/٢٧ بتاريخ ٦ ربيع الآخر ١٣٢٨هـ (١٩١٠/٤/١٥م).

١٧- إشعار بتاريخ ٣٠ المحرم ١٣٢٨هـ (١٠ فبراير ١٩١١م)، بشأن التقرير الذي قام بتقديمه الإيطالي هوفمان (Hoffman) تحت عنوان (إعمار وإسكان ولاية الحجاز)، والذي يحتوي على مقترحات أيضاً لحل مسألة اليمن[٢٢].

١٨- برقيات مرسلة بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٣٢٨هـ (٤ أبريل ١٩١٠م) إلى الإدارات المحلية، لتسهيل مهمة الفرنسيين جانسين وسافينياك (Jansen - Sevinyan) لقيامهما برحلة في منطقتي (العلا - مدائن صالح)[٢٣].

١٩- برقية مرسلة بتاريخ ٦ ربيع الآخر ١٣٢٨هـ (١٥ أبريل ١٩١٠م)، بشأن تقديم تسهيلات لازمة للدكتور النمساوي موزل (Musil) المتخصص في علم الآثار القديمة في النمسا، حيث سيقوم بأبحاث علمية في منطقة شبه الجزيرة العربية، وكذلك تأمين سلامته وإعفاء ما يحمله من آلات وأدوات من الرسوم الجمركية[٢٤].

٢٠- برقيات مرسلة إلى ولايات (الموصل - بغداد - حلب) بتاريخ ٩ رمضان ١٣٢٨هـ (١٣ سبتمبر ١٩١٠م)، لتقديم التسهيلات اللازمة للمجموعة الأمريكية التي يرأسها الراهب الدكتور ميلر (Miller) عند قيامه بأبحاث علمية على الآثار القديمة في مناطق (دجلة - الفرات)[٢٥].

٢١ - بلاغ بتاريخ ١٩ ذي القعدة ١٣٢٨هـ (٢١ نوفمبر١٩١٠م)، بخصوص الشخصين المسميين عبدالمجيد البغدادي مدرس اللغة

(22) BOA. (HR. SYS. Tasnifi), No: 20/107, T. 30 M. 1328 H.

(٢٣) المصدر السابق. وثيقة رقم ٦٣/٦٥ بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٣٢٨هـ (١٩١٠/٤/٤م).

(٢٤) المصدر السابق. وثيقة رقم ٢٧/٨٥ بتاريخ ٦ ربيع الآخر ١٣٢٨هـ (١٩١٠/٤/١٥م).

(٢٥) المصدر السابق. وثيقة رقم ٢٩/١٢٩ بتاريخ ٩ رمضان ١٣٢٨هـ (١٩١٠/٩/١٣م).

العربية في لندن، والحاج علي؛ اللذين أتيا إلى منطقة الحديدة باليمن بقصد البحث والاطلاع في الكتب النادرة[٢٦].

٢٢- برقية بتاريخ ١١ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ (١٦ مايو ١٩١٣م)، تتعلق بقدوم الإيطالي (أنطوان) إلى منطقة (الوجه) ومغادرته المكان بعد إجراء أبحاث فنية فيها[٢٧].

٢٣- برقية بتاريخ غرة ربيع الأول ١٣٣٢هـ (٢٧ يناير ١٩١٤م)، لتسهيل مهمة الراهبين الفرنسيين جانسين وسافيناك (Jansen - Sevinyan) للبحث عن الآثار القديمة في محطات السكك الحديدية بمنطقتي (العلا - مدائن صالح)[٢٨].

٢٤- برقية بتاريخ ٢ ربيع الأول ١٣٣٢هـ (٢٨ يناير ١٩١٤م)، لتقديم التسهيلات اللازمة للمسيو (نستروف) - من منسوبي كلية الآداب في (بطرسبرج) - لقيامه بأبحاث علمية في مناطق (الحجاز - جدة - البصرة)[٢٩].

٢٥- برقية بتاريخ ٢ ربيع الأول ١٣٣٢هـ (٢٨ يناير ١٩١٤م)، لتسهيل مهمة الدكتور (ألويس موزل) - وهو من مدرسي كلية الآداب في (فيينا) - واثنين من مرافقيه، للقيام برحلة استكشافية في مناطق (سوريا- بغداد- البصرة)[٣٠].

٢٦- برقية مرسلة إلى إمارة (مكة المكرمة) بتاريخ ٢٠ رجب ١٣٣٤هـ (٢٢ مايو ١٩١٦م)، لتقديم تسهيلات مع مصروفات طريق

(26) BOA. (DH. SYS. Tasnifi), No: 3/13, Tarihli, 19 Za. 1328 H.

(٢٧) المصدر السابق. وثيقة رقم ٣١/١١ بتاريخ ١١ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ (١٩١٣/٥/١٦م).

(28) BOA. (DH. KMS.Tasnifi), No: 1/14, Tarihli, 1 Ra. 1332 H.

(٢٩) المصدر السابق. وثيقة رقم ١٢/١١ بتاريخ غرة ربيع الأول ١٣٣٢هـ (١٩١٤/١/٢٧م).

(٣٠) المصدر السابق. وثيقة رقم ٢٨/٣ بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٣٢هـ (١٩١٤/٩/٢٧م).

ونفقات معيشة (بدل سفر)، للكاتب البلجيكي (السيد إدوارد ديكيز (Edward Dickeys) لقيامه بأبحاث علمية في المنطقة[٣١].

٣- التجسّس:

لقد كانت سمة القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ازدهار تجارة المعلومات أو التجسّس، وكان الصراع بين القوى الإسلامية والأوربية قد وصل إلى قمته في منطقة الشرق الإسلامي عموماً، والبحر المتوسط خاصة، بل إن حركة الكشوف الجغرافية في حقيقة أمرها هي حركة لجمع المعلومات عن كل الطرق المؤدية إلى مواطن الثروة والرخاء الاقتصادي في الشرق الإسلامي، حيث كان الهاجس الاستخباري يسيطر على العقلية الأوربية في ذلك الوقت. ولا شك أن الرحلات الأوربية التي قدمت إلى المنطقة العربية كانت تأخذ أشكالاً عدة، ولكنها اتفقت على هدف واحد، وهو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات بأية وسيلة. وكان التجسّس إحدى هذه الوسائل داخل أراضي الدولة العثمانية، وخصوصاً العربية كما يأتي:

سمة القرن العاشر الهجري ازدهار تجارة المعلومات أو التجسّس

١- أمر صادر إلى رئيس الكتّاب، بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٢٣٦هـ (٢٠ سبتمبر ١٨٢١م)، يتضمن تنبيهات الباب العالي وتحذيراته الحازمة بضرورة تأديب كل من يتم القبض عليه من الجواسيس الأجانب بالوسائل السرية أو بالاعترافات أو يستخدم أي أساليب لنشر الفساد والفتنة بين المسلمين في أنحاء الدولة العثمانية[٣٢].

٢- تقرير مرسل من ولاية الحجاز إلى الصدارة العظمى بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى ١٢٦٥هـ (١٩ أبريل ١٨٤٩م) يقول فيه: "مثلما حدث في بلاد الهند، فإن الدولتين العظيمتين (إنجلترا وفرنسا)

(٣١) المصدر السابق. وثيقة رقم ١٨/٤٣ بتاريخ ٢٠ رجب ١٣٣٤هـ (١٩١٦/٥/٢٢م).

(32) BOA. (Cavdet Tasnifi, Dahiliye), No: 6599, Tarihli, 24 Z. 1236 H.

تقومان منذ مدة بإرسال بعض قناصلهم، ليقوموا بالتجول والسياحة في المنطقة العربية، ويرسلون موظفيهما أيضاً إلى هذه الأماكن، ويصرف لهم بدل سفر، حتى إن وكيل القنصلية الفرنسية الموجود في (جدة) يقوم بالتجسّس لحساب بلاده، ويطالب بالتحقيق في ذلك الأمر، وعدم تسهيل مهامهم أو مساعدتهم في ذلك"[٣٣].

٣- تقرير مرسل إلى الصدارة العظمى بتاريخ غرة رجب ١٢٦٥هـ (٢٢ مايو ١٨٤٩م)، يتضمن أن دولتي (فرنسا وإنجلترا) تريدان تنفيذ مخططاتهما وأهدافهما في جزيرة العرب مثلما فعلتا في بلاد الهند من حيث السيطرة والاستعمار، وهو ما لا يقرّه ضمير أو دين، وقاموا لتنفيذ ذلك بتسخير الموظفين والقناصل وتعيينهم وإرسالهم إلى كل مكان في المنطقة العربية، ثم يقومون بالتجسّس والبحث عن أحوال المنطقة، وهو ما تم إخطاره لكم قبل ذلك لاتخاذ اللازم[٣٤].

٤- تقرير مرسل بتاريخ ٧ شوال ١٣٢٨هـ (١٠ أكتوبر ١٩١٠م)، يتضمن قيام جواسيس إنجلترا في مصر بالتزين والتخفي في لباس بدوية، وذلك للدسّ بين القوافل المنتشرة في المدن المصرية (القنطرة - الإسماعيلية - السويس)، ثم اتجاههم الى مناطق (القصيم) في الجزيرة العربية، ويطالب بالتحقق من ذلك ومنعه[٣٥].

(33) BOA. (IR. DH. Tasnifi), No: 11063, Tarihli, 27 Ca. 1265 H.

(٣٤) المصدر السابق. وثيقة رقم ١١٠٦٣/٧ بتاريخ غرة رجب ١٢٦٥هـ (١٨٤٩/٥/٢٢م).

(35) BOA. (DH. SYS. Tasnifi), No: 1/31. Tarihli, 7 L 1328 H.

٥- تقرير مرسل بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٢٩هـ (١٠ سبتمبر ١٩١١م)، بخصوص الشخصين اللذين أرسلتهما القنصلية الإنجليزية في (الحديدة) باليمن[٣٦]؛ ليقوموا بمراقبة تحركات الجيش العثماني في المنطقة[٣٧].

٦- برقية بتاريخ ١٦ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ (٢ مايو ١٩١٢م)، بشأن التحقيق في المعلومات العسكرية والسياسية التي يحتفظ بها الدنمركي (بركيلايرا انكيار)، والتي أدلى بها خلال قيامه بإجراء أبحاث في المناطق العربية (الهفوف - بغداد - البصرة)[٣٨].

٧- برقية بتاريخ ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ (٩ يونية ١٩١٢م)، حول التحقيق بشأن قيام اثنين من اليونانيين بدخولهم إلى (جدة) وهم متخفون بملابس نسائية، وقيامهم بتصرفات غير لائقة في الشوارع، وقد تم إبلاغ سفارتهم بذلك، والتنبيه على بقية السفارات الأجنبية بعدم تكرار مثل هذه التصرفات[٣٩].

٨- تقرير مرسل بتاريخ ٣ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ (٨ مايو ١٩١٣م)، بشأن الجواسيس العاملين لصالح (إيطاليا) والذين يقومون بإفساد العربان في (بيروت وسوريا والحجاز)، وينشرون أخباراً كاذبة، ويثيرون الأهالي للقيام في وجه الدولة العثمانية[٤٠].

٩- برقية مرسلة بتاريخ ٢٣ رمضان ١٣٣٢هـ (١٤ أغسطس ١٩١٤م)، بشأن الجواسيس المرسلين من طرف الحكومة الإنجليزية - الموجودة في مصر - إلى ولايات الجزيرة العربية[٤١].

(٣٦) المصدر السابق. وثيقة رقم ٣١/٣ بتاريخ ١٩ ذي القعدة ١٣٢٨هـ (٢١/١١/١٩١٠م).

(٣٧) المصدر السابق. وثيقة رقم ٤٠/٦ بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٢٩هـ (١٠/٩/١٩١١م).

(38) BOA. (DH. MUI. Tasnifi), No: 9/1-129, T. 16 Ca. 1330 H.

(39) BOA. (DH. ID. Tasnifi), No: 42/116, Tarihli, 24 C. 1330 H.

(40) BOA. (DH. SYS. Tasnifi), No: 2/27, Tarihli, 3 C. 1331 H.

(41) BOA. (DH. SFR. Tasnifi), No: 12/44, Tarihli, 23 N. 1332 H.

١٠- برقية مرسلة إلى محافظ (المدينة المنورة) بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٣٢هـ (٢٧ سبتمبر ١٩١٤م)، لتحديد هوية الجاسوس الإنجليزي المقبوض عليه هناك، والعمل على أخذ أقواله[٤٢].

٤- إثارة الفتن:

لا شك أن إثارة الفتن بين أهالي المنطقة العربية، والتشجيع على التمرد والعصيان ضد الدولة العثمانية، من الأهداف المهمة التي سعت إليها الدول الأوربية، ليسهل تمزيق الدولة، والعمل على إضعافها، وها هي نماذج من هذه التصرفات التي مارستها الدول الأوربية داخل المنطقة العربية:

١- تقرير مرسل بتاريخ ٢٠ المحرم ١٣٠٩هـ (٢٤ أغسطس ١٨٩١م)، بشأن قيام إنجلترا بتأييد حركات التمرد والعصيان ومساعدتها والتي زادت في مناطق الحجاز والجزيرة العربية[٤٣].

٢- تقرير مرسل بتاريخ غرّة ذي القعدة ١٣٠٩هـ (٢٧ مايو ١٨٩٢م)، يتعلق بأحوال منطقة الحجاز ومحاولة الإنجليز إثارة الفتن بين أهالي الحجاز[٤٤].

٣- تقرير بتاريخ ٢٥ رمضان ١٣١٦هـ (٥ فبراير ١٨٩٩م)، بشأن قيام الإنجليز بنشر الفساد في الحجاز والجزيرة العربية، ومحاولاتهم فصل العرب عن الدولة العثمانية[٤٥].

٤- تقرير بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٣٢٣هـ (٣١ يناير ١٩٠٦م)، يتعلق بمحاولة إنجلترا إثارة الأهالي في الحجاز واليمن والمناطق العربية المجاورة، وقيامها بتشجيع حركات التمرد والعصيان ضد

(٤٢) المصدر السابق. وثيقة رقم ٤٥/١٠٨ بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٣٢هـ (١٩١٤/٩/٢٧م).

(43) BOA. (Y. PRK. ESA. Tasnifi) No: 45/14, T. 20 M. 1309 H.

(44) BOA. (Y. PRK. ML. Tasnifi) No: 41/13, T. 1 Za. 1309 H.

(45) BOA. (Y. PRK. ESA. Tasnifi) No: 156/31, T. 25 N. 1316 H.

الدولة العثمانية، لإضعاف ما تبذله الدولة العثمانية من جهود لتأسيس اتحاد وجامعة إسلامية في المنطقة، ومحاولة الإنجليز تأسيس خلافة أخرى عربية بديلة عنها(٤٦).

٥- إشعار بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٢٣هـ (١٨ فبراير ١٩٠٦م)، بشأن إرسال لواء عسكري للعشائر التي أعلنت عصيانها ضد الدولة العثمانية في سوق الشيوخ، وذلك بتحريض من الإنجليز(٤٧).

٦- تقرير بتاريخ ٣ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ (٨ مايو ١٩١٣م)، للإبلاغ عن قيام بعض جواسيس الدول الأوروبية العاملين في المنطقة العربية وخصوصاً في مناطق (بيروت وسوريا والحجاز) بنشر الأخبار الكاذبة عن الدولة العثمانية بهدف إثارة الأهالي(٤٨).

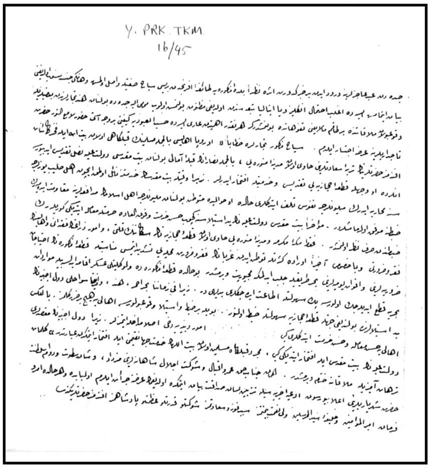

٧- تقرير (دون تاريخ) بشأن قيام أحد سائحي إنجلترا أو إيطاليا، والذي جاء إلى (جدة) مع بعض التجار الهنود، ومحاولته إثارة موضوع أفكار الأوربيين وتصوراتهم المتعلقة ببيت الله الحرام وقبر الرسول ﷺ(٤٩).

٥- تقسيم الحدود وبيع الأراضي:

لا شك أن المميزات التي حصلت عليها الدول الأوروبية من الدولة العثمانية ساعدتها في تحقيق أهدافها في المنطقة العربية، وكان

(46) BOA. (Y. PRK. AZJ. Tasnifi) No: 53/51, T. 7 Z. 1323 H.

(47) BOA. (Y. MTV. Tasnifi) No: 84/283. T. 25 Z. 1323 H.

(48) BOA. (DH. SYS. Tasnifi)No: 2/27, T. 3 C. 1331 H.

(49) BOA. (Y. PRK. TKM. Tasnifi) No: 45/16, Tarihsiz.

تقسيم الحدود بين المناطق العربية، وبيع الأراضي أيضاً هدفاً سعت إليه هذه الدول منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) كما سنرى:

١- تقرير مؤرخ في ٢١ ذي القعدة ١٣٠٦هـ (١٩ يولية ١٨٨٩م)، بشأن قيام إيطاليا بعرض قطعة من الأراضي العربية الواقعة على ساحل البحر الأحمر تُدعى (عصب) للبيع على حكومة أسبانيا، لاستخدامها فترة من الزمن(٥٠).

٢- برقية من قائمقامية ولاية بغداد إلى الصدارة العظمى بتاريخ ٢١ رمضان ١٣٠٦هـ (٢١ مايو ١٨٨٩م) حول قيام إنجلترا بإرسال سفينة إلى مياه البصرة، ثم قيامها بتصحيح خريطة سواحل (نجد)، وقيامهم بنصب أعمدة في صحراء (نجد) وطلبهم القيام بالسياحة والتجول بالمنطقة(٥١).

٣- تقرير مؤرخ في ٤ رجب ١٣٢٣هـ (٣ سبتمبر ١٩٠٥م)، بشأن التأكد من أهداف إنجلترا وما تأمله أوربا والعالم الغربي في المحاولات الرامية إلى السيطرة على الأراضي العثمانية، والمناطق العربية خاصة(٥٢).

٤- تقرير بتاريخ ١٤ ذي الحجة ١٣٢٣هـ (٧ فبراير ١٩٠٦م) بشأن وصول السيد بيتشي (Mr. Peachy) وهو من موظفي دولة إنجلترا إلى الكويت، ثم قيامه بغرس العلم الإنجليزي على الساحل(٥٣).

٥- تقرير بتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ (٣٠ أبريل ١٩١٢م)، بشأن النتائج السيئة التي أدت إليها هذه الرحلات الأوربية، والتنافس بين الدول على المنطقة، حيث إنه عُقد اتفاق سري بين

(50) BOA. (Y. A. HUS. Tasnifi) No: 205/65, T. 21 Za. 1306 H.

(51) BOA. (HR. SYS. Tasnifi) No: 31/1909, T. 21 N. 1306 H.

(52) BOA. (Y. PRK. ESA. Tasnifi) No: 105/47, T. 4 B. 1323 H.

(53) BOA. (Y. MTV. Tasnifi), No: 77/273, T. 14 Z. 1323 H.

دولتي إنجلترا وفرنسا يتضمن قيامهما بتقسيم أفريقيا بينهما عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م)(٥٤).

٦- برقية مشفرة من الضابط (عزيز بك) الموجود حالياً في (حائل) بتاريخ ٦ رجب ١٣٣٢هـ (٣٠ مايو ١٩١٤م)، بشأن التأكد من صحة المعلومات التي تفيد قيام أحد موظفي إنجلترا بالكويت بالتوقف في بعض المواقع خلال رحلته إلى الشام والعقبة، ثم قيامه بدفن بعض القطع الحديدية في الأرض وعليها عبارات باللغة الإنجليزية، وأن ذلك يحتمل أن يستخدمه الإنجليز كسند يعتمدون عليه فيما بعد لرسم المسائل الحدودية في المنطقة، وأنه جاري البحث الآن عن هذه القطع، وقد تم التعميم بالبحث عنها في المنطقة بين ولايتي سوريا والبصرة(٥٥).

٦- تهريب الأسلحة وبيعها:

كان تهريب الأسلحة وبيعها في المنطقة العربية هدفاً إستراتيجياً سعت إليه الدول الأوربية منذ فترة بعيدة، وذلك لتكتمل أهدافها بعد القيام بالتجسس وإثارة الفتن ورسم الحدود، ثم الخاتمة بالتدخل والسيطرة على المنطقة العربية كما رأينا عند قيام الحرب العالمية الأولى. وها هي بعض النماذج التي تدلنا على محاولات أوربا (وخصوصاً إنجلترا وفرنسا) في تهريب الأسلحة وبيعها:

١- تقرير بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى ١٢٦٥هـ (١٩ أبريل ١٨٤٩م)، بشأن ما تقوم به دولتا إنجلترا وفرنسا داخل الأراضي العربية، حيث تريدان أن تتحول المنطقة كما فعلتا في بلاد الهند من حيث السيطرة والاحتلال. وأن القصد الواضح من إرسال سفنهما التجارية إلى (جدة) بشكل خاص و مستمر هو رغبتهما في المرور

(54) BOA. (HR. Hukuk Musavirligi Istisare Odasi) No: 41/1-9, T. 14 Ca. 1330 H.

(55) BOA. (DH. KMS. Tasnifi), No: 1/2-2 , T. 6 B. 1332 H.

إلى ميناء (مصوع)، ثم قيامهما ببيع الأسلحة للقبائل. ولقد تم القبض على بعض تجار البضائع وبحوزتهم مئتا بندقية، وكانوا يتحينون الفرصة لإرسالها إلى المكان المذكور(٥٦).

٢- تقرير مرسل بتاريخ ٢٠ المحرم ١٣٠٩هـ (٢٤ أغسطس ١٨٩١م)، بشأن قيام بعض السفن الإنجليزية بتهريب الأسلحة ونقلها إلى سواحل (إيران) عن طريق ميناء (بوشهر) تحت اسم نقل الأمتعة التجارية، وطلب اتخاذ الإجراءات الضرورية لمنع ذلك(٥٧).

٣- برقية مرسلة بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى ١٣٠٩هـ (٢٧ ديسمبر ١٨٩١م)، أنه بناءً على الإشعار الوارد من مفتشية الجيش السادس في بغداد حول قيام الإنجليز بإدخال أسلحة مُهربة من جهة (المحمرة) و(نهر قارون) إلى مناطق (العمارة - البصرة - المنتفق)، وأن ذلك تم بمعرفة متصرف (العمارة)، فقد تقرر عدم إبقاء هذا المتصرف في مكانه وعزله على الفور(٥٨).

٤- تقرير مرسل بتاريخ ٢٨ المحرم ١٣١٦هـ (١٧ يونية ١٨٩٨م)، بشأن تهريب الأسلحة وإدخالها إلى بعض مناطق الجزيرة العربية(٥٩).

٥- رسالة إلى قائمقام ورئيس ميناء (الوجه) بتاريخ ٩ رجب ١٣١٦هـ (٢٢ نوفمبر ١٨٩٨م)، بشأن اتخاذ التدابير اللازمة نحو مجموعة من النصارى الذين استقلوا باخرة من ميناء السويس، وبصحبتهم مجموعة من الأسلحة والذخيرة النارية متوجهين ناحية الشام، وقد استطاعوا - بوساطة بعض مشايخ العربان - استئجار جمال كافية لنقل هذه الأسلحة نحو الشام. وقد شوهدت بعض

(56) BOA. (IR. DH. Tasnifi) No: 11063, T. 27 Ca. 1265 H.

(57) BOA. (Y. PRK. ESA. Tasnifi) No: 63/18, T. 20 M. 1309 H.

(58) BOA. (IR. DH. Tasnifi) No: 98673, T. 26 Ca. 1309 H.

(59) BOA. (Y. PRK. ESA. Tasnifi) No: 34/30, T. 28 M. 1316 H.

خيام هؤلاء الأجانب في جزيرة صنافر وتيران وعلى ساحل الزبارة وكذلك عند مدخل العقبة[٦٠].

٦- أمر وإرادة خصوصية صادرة من الباب العالي في شهر المحرم ١٣١٧هـ (مايو ١٨٩٩م)، حول ضرورة منع دخول وتهريب المعدات والأسلحة والذخيرة النارية من ميناء (بور سعيد) بمصر والتي وردت بوساطة الإنجليز فيها من إنجلترا، لإخراجها وإرسالها تهريباً إلى سواحل البصرة[٦١].

٧- برقية بتاريخ ١٥ المحرم ١٣٢٧هـ (٥ فبراير ١٩٠٩م)، للتحقيق في المحاولات الساعية إلى تسريب الأسلحة والذخيرة وتهريبها إلى سواحل اليمن، وضرورة منعها للحفاظ على سواحل اليمن[٦٢].

٨- برقية بتاريخ ١٣ ربيع الآخر ١٣٢٩هـ (١١ أبريل ١٩١١م)، بشأن التحقق من محاولة تهريب صناديق الأسلحة وإدخالها إلى البحر الأحمر عن طريق السويس، واحتمال بيعها للعربان في المنطقة[٦٣].

٩- تقرير مرسل بتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٣٢هـ (٢٣ مايو ١٩١٤م)، بشأن تهريب الأسلحة وغيرها إلى المنطقة العربية المطلّة على البحر الأحمر[٦٤].

٧- تدخل القناصل:

لقد كان لقناصل الدول الأوربية وموظفيها دور مؤثر في تنفيذ مخططات بلادهم في المنطقة العربية، فمنهم من كان يعمل على جمع أكبر قدر من المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومنهم من كان يعمل أيضاً في إثارة الفتن وإشاعة الأخبار الكاذبة كما سيتبين من هذه الوثائق النموذجية:

(60) BOA. (BEO. Tasnifi), No: 92249, T. 9 B. 1316 H.

(61) BOA. (IR. HUS. Tasnifi), No: 32, T. M. 1317 H.

(62) BOA. (DH. MUI. Tasnifi), No: 7/1-1, T. 15 M. 1327 H.

(63) BOA. (DH. ID. Tasnifi), No: 16/1-94, T. 13 R. 1329 H.

(64) BOA. (HR. SYS. Tasnifi), No: 3/101, T. 28 C. 1332 H.

١- تقرير مرسل بتاريخ غرّة رجب ١٢٦٥هـ (٢٢ مايو ١٨٤٩م)، يتضمن أن القنصل الفرنسي الموجود في (جدة) لا عمل له إلاّ التجسس وتقصّي أحوال المنطقة. ولقد قمنا بالتأكد من ذلك، وعلمنا أن القنصلية الفرنسية تقوم بتجنيد بعض الأشخاص العاملين على بعض السفن التجارية القادمة إلى ميناء (جدة)، ليكونوا تحت الحماية الفرنسية، ويسهل عليهم تنفيذ المهام الموكل بها إليهم في تزويدهم بالأخبار مباشرة(٦٥).

٢- برقية بتاريخ ٢٠ المحرم ١٣١٨هـ (أبريل ١٩٠٠م)، بشأن محاولات القنصل الإنجليزي في البصرة، للتدخل في شؤون البحرين، وإفساد عشائر (نجد) كذلك(٦٦).

٣- برقية بتاريخ ٢٧ رمضان ١٣٢٢هـ (٤ ديسمبر ١٩٠٤م)، بشأن قيام نائب الحاكم العام للهند، ويُدعى اللورد كرزون (Lord Corazon) بالتجول والسياحة في خليج البصرة، وإجراء بعض المحادثات في المنطقة(٦٧).

٤- برقية بتاريخ ٤ المحرم ١٣٢٤هـ (٢٧ فبراير ١٩٠٦م)، بخصوص قيام القنصل الإنجليزي في البحرين بالسياحة والتجول ناحية (قطر)(٦٨).

٥- برقية بتاريخ ١٣ صفر ١٣٣٠هـ (١ فبراير ١٩١٢م)، بشأن التحقيق في قيام أحد ضباط الإنجليز، ويُدعى (مستر لسمون) بالتجول بين العشائر البحرينية دون الحصول على إذن بذلك(٦٩).

٦- برقية بتاريخ ١٦ شعبان ١٣٣٠هـ (٣٠ يولية ١٩١٢م)، بشأن إجراء التحقيق حول قيام بعض القناصل الإنجليز في بغداد بتقديم الهدايا إلى بعض المشايخ هناك وقيامهم بتفتيش العساكر العثمانية(٧٠).

---

(65) BOA. (IR. DH. Tasnifi), No: 11063/7, T. 1 B. 1265 H.

(66) BOA. (HR. SYS. Tasnifi), No: 31/93, T. 20 M. 1318 H.

(٦٧) المصدر السابق. وثيقة رقم ١٠٨/١٣ بتاريخ ٢٧ رمضان ١٣٢٢هـ (١٩٠٤/١٢/٤م).

(٦٨) المصدر السابق. وثيقة رقم ١٠٨/١٣ بتاريخ ٤ المحرم ١٣٢٤هـ (١٩٠٦/٢/٢٧م).

(69) BOA. (HR. SYS. Tasnifi), No: 3/94, T. 13 S. 1330 H.

(70) BOA. (DH. ID. Tasnifi), No: 14/130, T. 16 S. 1330 H.

٧- برقية بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٣٣٠هـ (١ ديسمبر ١٩١٢م)، بشأن التدخل الإنجليزي المتمثل في قنصلها الموجود (بالبصرة)، وقيامه بالتدخل في شؤون سكان (جزر البحرين) والعشائر المهاجرة من (البحرين) إلى سواحل (القطيف)(٧١).

٨- برقية مرسلة إلى محافظ (المدينة المنورة) وولاية (سوريا) بتاريخ ١١ جمادى الآخرة ١٣٣٢هـ (٥ مايو ١٩١٤م)، بشأن التّحري سريعاً عن تصرفات القنصل الإنجليزي الموجود بالكويت، والذي يريد السفر إلى (بور سعيد) بمصر براً عن طريق (نجد)، والقبائل التي سيلتقيها خلال الطريق(٧٢).

٨- التدخل المباشر للسفن الحربية الأوربية:

لا شك أن التداخلات العسكرية المباشرة للسفن الحربية الأوربية في المياه الإقليمية العربية هي نتيجة طبيعية لكل ما سبق من أهداف ومحاولات أوربية لتحقيقها تحت اسم حماية الرعايا الأجانب في المنطقة. وسوف نرى أن تلك المحاولات بدأت منذ فترة مبكرة جداً، وبعد أن تيقنت أوربا أن المنطقة العربية موقع إستراتيجي للأهداف الأوربية الاستعمارية، كما يأتي:

١- رسالة إلى أمير مكة المكرمة بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة ١٢٦٥هـ (٢ مايو ١٨٤٩م)، للاستعلام منه عن الأخبار الواردة بشأن قيام بعض الأجانب بالتعدي على بعض المناطق الداخلة في آيالة (جدة) والمتواجدة على بحر (السويس)(٧٣).

٢- تقرير بتاريخ ٨ جمادى الأولى ١٢٩١هـ (٢٢ يونية ١٨٧٤م)، بشأن قيام السفن الإنجليزية بإطلاق مدافعها على عشائر البحرين

(٧١) المصدر السابق. وثيقة رقم ٩/٩٤ بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٣٣٠هـ (١/١٢/١٩١٢م).

(72) BOA. (DH. SFR. Tasnifi), No: 162/40, T. 11 C. 1332 H.

(73) BOA. (IR. DH. Tasnifi), No: 10870, T. 10 C .1265 H.

القاطنة على سواحلها، ومحاولة إبعادهم وطردهم من بلادهم ونفي أعيانهم إلى الهند[٧٤].

٣- برقية بتاريخ ٢ صفر ١٢٩٢هـ (١٠ مارس ١٨٧٥م)، بخصوص التحقق من محاولات السفينة الحربية الإنجليزية التي قامت بالتعدي على قبيلة (بني هاجر) في خليج البصرة[٧٥].

٤- تقرير بتاريخ ٢٣ المحرم ١٣٠٦هـ (٢٨ سبتمبر ١٨٨٨م)، بشأن التحقق من الحشود العسكرية الإيطالية في البحر الأحمر[٧٦].

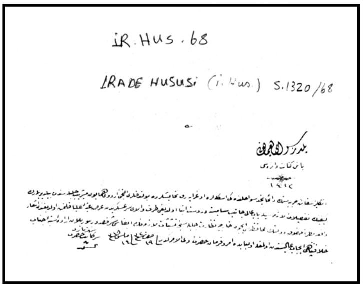
iR.Hus.68
IRADE HUSUSi (i.Hus.) S.1320/68

٥- تقرير بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة ١٣١٦هـ (٦ نوفمبر ١٨٩٨م)، بشأن حادثة وجود السفينتين الحربيتين التابعتين لدولتي فرنسا وإنجلترا في مياه البصرة[٧٧].

٦- أمر عال وإرادة خصوصية صادرة بتاريخ ١٩ صفر ١٣٢٠هـ (٢٦ مايو ١٩٠٢م)، لمنع تجمعات السفن الإنجليزية التي تتجول في سواحل (الأحساء) بشكل دائم ومستمر[٧٨].

٧- تقرير بتاريخ ١٦ شوال ١٣٢٣هـ (١٢ ديسمبر ١٩٠٥م)، بخصوص مرور السفن الحربية الإنجليزية بسواحل الأحساء وخليج البصرة، وقيام إحداها بجولات كشفية في منطقة الأحساء والقطيف[٧٩].

---

(٧٤) المصدر السابق. وثيقة رقم ١٩٠٩/٣٤ بتاريخ ٨ جمادى الأولى ١٢٩١هـ (١٨٧٤/٦/٢٢م).

(75) BOA. (HR. SYS. Tasnifi), No: 3/93, T. 2 S. 1292 H.

(76) BOA. (Y. A. HUS. Tasnifi), No: 217/71, T. 23 M. 1306 H.

(77) BOA. (HR. SYS. Tasnifi), No: 18/94, T. 22 C. 1316 H.

(78) BOA. (IR. HUS. Tasnifi), No: 68, T. 19 S. 1320 H.

(٧٩) المصدر السابق. وثيقة رقم ٩٥/١٥ بتاريخ ١٦ شوال ١٣٢٣هـ (١٩٠٥/١٢/١٢م).

٨- تقرير بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٣٣٠هـ (٢٩ فبراير ١٩١٢م)، بخصوص نشاط الإنجليز لتوسيع نفوذهم في خليج البصرة وسواحلها[٨٠].

٩- تقرير بتاريخ ٣٠ ربيع الأول ١٣٣١هـ (٨ مارس ١٩١٣م)، بشأن اختلاف الدولة العثمانية مع دولة إنجلترا حول سير السفن الإنجليزية في بحر شط العرب[٨١].

١٠- تقرير بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٣٤هـ (٢٧ أبريل ١٩١٦م)، بشأن اقتراب السفن الأجنبية من السواحل اليمنية التي لا توجد فيها إدارة للجمارك، وطلب اتخاذ التدابير اللازمة لمنع ذلك[٨٢].

الخاتمة:

بعد عرض هذه الدراسة الوثائقية المتعلقة بالاتصالات الأوربية بالمنطقة العربية، وخاصة الجزيرة العربية من خلال نماذج من الوثائق العثمانية كان لابد لنا من الخروج بأهم النتائج الآتية:

١- أن الهدف الأوربي للسيطرة على المنطقة العربية كان هدفاً قديماً، وازداد هذا الهدف مع مرور الوقت، وبلغ قمته مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

٢- استخدمت الدول الأوربية كل الوسائل للسعي في بلوغ أهدافها، وكانت الرحلات الأوربية السياحية والكشفية والطبية... (تحت أي مسمّى) إلى المنطقة العربية إحدى هذه الوسائل.

٣- ارتبطت الاتصالات الأوربية بعملية جمع المعلومات عن المنطقة العربية (جغرافياً، واقتصادياً، ودينياً، وسياسياً...)، وازدهر معها نشاط التجسّس.

٤- شاركت الإدارة العثمانية - بشكل غير مباشر - في إنجاح هذه الأهداف الأوربية، وذلك حينما سمحت - طبقاً لمعاهداتها مع

(80) BOA. (HR. SYS. Tasnifi), No: 5/94, T. 11 Ra. 1330 H.

(٨١) المصدر السابق. وثيقة رقم ٩٤/١٩ بتاريخ ٣٠ ربيع الأول ١٣٣١هـ (١٩١٣/٣/٨م).

(82) BOA. (DH. IUM. Tasnifi), No: 9/27, T. 25 C. 1334 H.

الدول الأجنبية - بتنقّل أفرادها وبعثاتها للبحث والتنقيب والسياحة في المنطقة العربية دون رقابة خاصة عليهم.

٥- كانت إثارة أهالي المنطقة العربية للقيام بحركات التمرد والعصيان ضد الدولة العثمانية وإثارة الفتن والشائعات الكاذبة عن الدولة من أهم الأساليب التي استخدمها الأوربيون لتحقيق أهدافهم.

٦- كان قناصل الدول الأوربية في المنطقة العربية بجانب عملهم السياسي من أهم الأدوات التي استخدمتها بلادهم، بل والعامل المساعد الأول لتنفيذ أهدافها.

٧- كانت الرحلات الأوربية وسيلة لازدهار تجارة جديدة ظهرت على الساحة العربية، وهي تجارة بيع الأسلحة في المنطقة العربية، فهي من ناحية مكسب ماديّ، ومن ناحية أخرى عامل مساعد في دعم حركات التمرد ومساندتها ضد الدولة العثمانية، ومما لا شك فيه سيساعد على ضعف الدولة العثمانية نفسها وبأيدي أهلها.

٨- كان التدخل العسكري للسفن الحربية الأوربية نوعًا من أنواع فرض السيطرة بالقوة على السواحل العربية. وذلك أمر طبيعي بعد معرفة مقومات هذه المناطق تجارياً، واقتصادياً وسياسياً أيضاً.

٩- بدأت الرحلات الأوربية إلى عموم المنطقة العربية مع منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين، وقد ركزت هذه الرحلات على مناطق عربية معينة، مثل: فلسطين - سيناء مصر - الشام والعراق أيضاً.

وفي النهاية أرجو أن أكون قد وُفقت في إلقاء الضوء على بعض الأهداف التي كانت ترمي بها الدول الأوربية عند قيامها بالاتصالات المختلفة مع المنطقة العربية، وتأثير ذلك فيما بعد.